﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الجاثية: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

التَّكذيبُ بالسّاعة ليس له جزاء إلّا دخول دار العذاب

لمّا وبَّخ الله تعالى الكافرين على تكذيبِهم بوعد الله وإنكارِهم للسّاعة واستهزائِهم بها؛ حكى حالَهم، وما يكونون عليه بعد عرض أعمالِهم عليهم؛ للإيذان بدخولِهم دارَ العذاب، فقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَبَدَا﴾: (بدو) أصلٌ يدلُّ على ظهورِ الشَّيءِ ظهورًا بيِّنًا؛ لكونِه مطلعَ ظهور الشَّيء وبدايتَه، ولذا لا يحتاجُ إلى مجهودٍ في استظهاره واكتشافِه؛ لأنَّ أوائلَ الأشياء واضحةُ الظُّهور[1]، و"بدوتُ أبدو؛ إذا ظَهَرْتُ، وبدا لي الشَّيءُ بَدْوًا وبُدوًّا؛ إذا ظهر لك، وكلُّ شيء ظهر لك؛ فقد بدا لك"[2]، ومِن ذلكَ: البَدْوُ، وهو خلافُ الحَضَرِ[3]، وسُمِّيَت البادِيةُ بذلكَ؛ لأنَّها يظهرُ كلُّ ما فيها؛ لخُلوِّها مِن ساترٍ[4]، وجاء الفعلُ ﴿وَبَدَا﴾ في سياق الآيةِ الكريمةِ بمعنى: ظهرَ لهم.

2) ﴿وَحَاقَ﴾: (حيق) أصلٌ يدلُّ على نزولِ الشَّيءِ بالشَّيءِ[5]، ومِن ذلكَ يقالُ: حاقَ بِهِ كذا، أي: نزلَ به، وأصابَهُ[6]، حاق به الشَّيء يحيقُ، أي: أحاط به، وحلَّ به[7]، والحَيْقُ ما حاقَ بالإنسان مِن مَكْر

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدو)، والرّاغب، المفردات: (بدا).
(2) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (بدو).
(3) الرّاغب، المفردات: (بدو).
(4) السّمين الحلبي، عُمْدَة الحُفّاظ: (بدو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حيق).
(6) الرّاغب، المفردات: (حيق).
(7) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (حيق).

أو سوء عَمَلٍ يَعملُهُ، فينْزِلُ ذَلِكَ بِه، ويُحيطه[1]، والمرادُ بـ ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزلَ بهِم، وأحاطَ بهِم مِن جميعِ الجوانبِ، ووَجَبَ لَهُم[2]، وثبتَ، ولزمَ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وظهر لهؤلاء الَّذين كانوا يكذِّبون بآيات اللّه ما عملوا في الدُّنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب اللّه جزاء ما كانوا به يستهزئون[4].

وعيدُ اللّه سبحانه لا يتخلَّف

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبةُ الوصل في الآية:

جاءت جملة: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ معطوفةً على جملة: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية: 31]، بتقدير: فيقال لهم، أي: فيقال لهم ذلك، وبدا لهم سيّئات ما عملوا، وسبب العطف الإيذان بأنَّه قد جمع للكافرين بين التَّوبيخ والإزعاج، فوبَّخوا بقولِه: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية: 31] الآيةَ، وأزعجوا بظهور سيّئات ما عملوا وانكشافِ الأمر لهم[5].

الجمعُ بين توبيخ الكافرين وإزعاجِهم بانكشاف سيّئاتِهم يوم القيامة

براعةُ استعمالِ مفردة (بَدا):

عبَّر بمفردة (بَدا) دون أن يقال مثلًا: وظهر لهم، أو وانكشف لهم؛ لِما في البدوِّ من معنى الظُّهور البيِّن الَّذي يكون في مطلع الأمر، بحيث لا يحتاج إلى كلفةٍ في المعاينة، كما أنَّ في البدوِّ معنى الفجأة، بمعنى: أنَّهم لم يتوقَّعوا أن يكون الحال على ما هم عليه في يوم القيامة، فكأنَّه أُسقط في أيديهم، ويُفهم من لفظ (بَدا)

الكافرُ يُسقَطُ في يديه يوم القيامة، فيفاجأ بالسَّيّئات، وكان يظنُّها حسنات

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حيق).
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 185.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 535.
(4) مجموعة من المفسّرين، التّفسير الميسّر: 1/ 502.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 373.

أنَّهم عملوها في الدُّنيا، وعندهم أنَّها حسنات، فكانوا يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، فظهر لهم في الآخرة كون أعمالِهم سيِّئات[1]، أو المعنى: ظهر لهم في الآخرة، وتذكَّروا سيِّئات ما عملوا في الدُّنيا، أو بدا لهم جزاء سيّئات ما عملوا وعقوبتها[2]، فالتَّعبير بالبدوِّ هو المناسب لتوبيخِهم وتنديمِهم على ما ارتكبوه من السَّيِّئات في الدُّنيا.

نكتةُ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿وَبَدَا﴾:

ظهورُ سيّئات الكافرين وانكشافها يوم القيامة أمر مقطوع به

عبَّر بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَبَدَا﴾ مع أنَّ الكلام في ما يقع في يوم القيامة، فهو من قبيل الإخبار عن المستقبل بصيغة الماضي؛ للإيذان بتحقُّق وقوع بدوِّ سيِّئات ما عملوا[3]، بمعنى: أنَّه أمر مقطوع به، ويمكن أن يكون تكييفه بلاغيًّا على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، بأن شبَّه الفعل المستقبل بالفعل الماضي بجامع قوَّة التَّحقُّق.

نوعُ اللّام ودلالتها في ﴿لَهُمْ﴾:

تقريرُ توبيخ الكافرين وتبكيتهم باختصاص بدوِّ السَّيّئات لهم دون غيرِهم

اللّامُ في قولِه: ﴿لَهُمْ﴾ للاختصاص؛ لتحقيق بدوِّ السَّيّئات لهم، فكأنَّ هذا البدوَّ لهم، وليس لغيرِهم، ففيه زيادة في التَّوبيخ والتَّبكيت.

تعيينُ مرجعِ ضمير ﴿لَهُمْ﴾:

الضَّميرُ يعود لأقرب مذكور إلّا إذا قامت قرينة على خلاف ذلك

يعود الضَّمير في قولِه: ﴿لَهُمْ﴾ إلى الاسم الموصول في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الجاثية: 31] بما اتَّصف به، أي: وبدا للَّذين كفروا، واستكبروا، وكانوا قومًا مجرمين، وقالوا: ما ندري ما السّاعة؟ وأنكروا وقوعَها؛ ليفيد عود الضَّمير تعداد سيِّئاتِهم، واستحقاقَهم الجزاء عليها، ففي التَّعبير بالضَّمير إيجاز في اللَّفظ.

بلاغةُ الالتفات في الآية:

جاء قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾ بأسلوب الغيبة، ملتفتًا إليه

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 75.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 445.

لا يناسب المستهزئين إلّا الإعراضُ عنهم يوم القيامة؛ ليجتمع عليهم العذاب النَّفسي والجسدي

بعد أسلوب الخطاب للكافرين في قولِه: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية: 31]، وقوله: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ [الجاثية: 32]، فكان الظّاهر أن يقال: (وبدا لكم سيِّئات ما علمتم)، لكنَّه عدل إلى الغيبة في موقع الحساب وإنزال العقاب؛ إيذانًا بشديد غضبِه تعالى عليهم، فلا يناسب المستهزئين إلّا الإعراض عنهم؛ ليجتمع عليهم العذاب النَّفسيُّ والجسديُّ.

غرضُ تقديمِ الجار والمجرور على المسند إليه:

ظهورُ سيّئات الكافرين يوم القيامة غاية الظُّهور بحيث لا يستطيعون إنكارَها

قدَّم الجار والمجرور على المسند إليه الفاعل في قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾؛ للاهتمام بظهور السَّيّئات لهم، بمعنى: ظهر لهم سيِّئات ماعملوا غاية الظُّهور، كما يُلمح في التَّقديم معنى التَّخصيص؛ لِما في بدوِّ السَّيّئاتِ من معنى المفاجأة السَّيّئة غير المتوقَّعة، الَّتي ترتَّب عليها تنديمهم وتوبيخهم.

نكتةُ استعمال مفردة ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾:

عبَّر بلفظ ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ دون أن يقال: وبدا لهم معاصي ما عملوا أو آثام ما عملوا؛ لِما في مفردة ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ من معنى السّوء، فهي سيِّئة وجزاؤها سيّئ على صاحبِها، وظهورها سيّئٌ كذلك.

بلاغةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا﴾ بين الحقيقة والمجاز:

الكافرون تبدو لهم قبائح أعمالِهم يوم القيامة، فيعرفون وخامة عاقبتها

لمّا كانت الإضافة على معنى المغايرة بين المضاف والمضاف إليه؛ أفادت إضافة السَّيّئات إلى الاسم الموصول، في قوله: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا﴾ مغايرة السَّيّئات للأعمال، فإمّا أن يكون المراد من السَّيّئات المعنى الحقيقيَّ، وهي القبائح، أي: بدا لهم قبائح أعمالِهم بعنى عاينوها، وعرفوا وخامة عاقبتها، وانكشف لهم وجهها القبيح، والمعنى: بدا لهم سيِّئات ما عملوا على الصّورة المنكرة الهائلة الَّتي هي عليها[1]،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 75، والشّوكاني، فتح القدير: 5/ 14.

وإمّا أن يكون الكلام على طريق المجاز المرسل بذكر سبب العقوبات، وهي السَّيّئات وإرادة المسبَّب، وهي العقوبات، والمعنى: وبدا لهم عقوبات أعمالِهم السَّيّئات[1]، وسبب العدول إلى المجاز - بالتَّعبير عن السَّيِّئات عن جزائِها - هو الإشارة إلى تمام المعادلة بين العمل وجزائِه، حتَّى جعل الجزاء نفس العمل على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التَّوْبَة: 35][2]، وإمّا أن يكون مجازًا بالحذف، بتقدير حذف المضاف، أي: وبدا لهم جزاء سيِّئات ما عملوا[3].

سببُ إيثارِ الإضافة إلى الموصول دون أن يقال: سيِّئات عملِهم:

جاء النَّظم الكريم بـ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾، ولم يقل: سيِّئات عملِهم؛ لِما تشعر به الإضافة إلى الاسم الموصول من ظهور قبح آثار أعمالِهم وظهور قبح أعمالِهم كذلك؛ لأنَّ إضافةَ الأثر إلى المفعول، وهو المؤثِّر، إنَّما تكون بعد إضافته إلى الفعل، فإذا بدَتْ لهم سيِّئات الشَّيء الَّذي عملوه، فأحرى أن تبدو لهم سيِّئات عملهم[4]، ولو قيل: وبدا لهم سيِّئات عملِهم؛ لأفاد ظهور قبح عملِهم فقط دون آثارِه.

مَن يعمل السَّيّئات يظهر له قبيحُ عملِه وآثارُ يوم القيامة

غرضُ التَّعبيرِ بصيغة الماضي ﴿عَمِلُواْ﴾:

عبَّر بصيغة الماضي في قولِه: ﴿مَا عَمِلُواْ﴾، ولم يقل: (ما كانوا يعملون)، كما هو في كثير من الآيات؛ لأنَّه ليس المقصود إثبات استمرارِهم على عملِهم السَّيّئ في الدُّنيا، وإن كانوا كذلك، بل المقصود مفاجأتهم ببدوِّ سيِّئات ما وقع من أعمالِهم بعد أن كانوا يظنّون أنَّها ليست سيِّئة، فإنَّ في التَّعبير بصيغة الماضي ﴿عَمِلُواْ﴾ تحقيقًا لوقوع عملِهم السَّيّئ؛ ليترتَّب عليه تحقيق بدوِّ سيّئاته وانكشافِها لهم.

التَّعبيرُ بالفعل الماضي؛ لتحقُّق أعمالِهم في الدُّنيا على وجه الحقيقة

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 293، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 427.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 374.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 159.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 16.

بلاغةُ الإطنابِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ على طريق الإطناب، دون الإيجاز في اللَّفظ، أي: لم يقل: وبدا لهم أعمالُهم، ونكتة العدول إلى الإطناب الإشعار بأنَّه بدا لهم أنَّ ما عملوا كان سيِّئًا قبيحًا، ولو قيل: وبدا لهم أعمالهم؛ لم يفد بدوَّ سوء أعمالِهم، مع أنَّ المقصود ظهور سوئِها لهم المشعر بسوء الجزاء عليها.

سوء الأعمال سببٌ لسوء الجزاء يوم القيامة

مناسبةُ التَّعبيرِ بالموصول وصلته ﴿مَا عَمِلُواْ﴾:

عبَّر بالموصول وصلتِه في قولِه: ﴿مَا عَمِلُواْ﴾، دون أن يقال: سيِّئات أعمالِهم؛ لغرض إهانتِهم وإذلالِهم وتنديمِهم على فعلِهم، وللإيذان بتحقُّق وقوع أعمالِهم السَّيِّئة في الدُّنيا.

نكتةُ التَّعبيرِ بالعمل دون الكسب:

لما كان السّياق للكفرة، وكان الضَّمير في ﴿لَهُمْ﴾ راجعًا إلى الَّذين كفروا، بما اتَّصفوا به من الأعمال، ولمّا كان السّياق في بيان أنَّ الكافرين مؤاخذون بجميع أعمالهم لبنائِها على الكفرِ، فإنَّه ليس لهم أساس صالح، يكون سببًا لتكفير شيء ممّا تقلَّبوا فيه؛ عُبِّر بالعمل في قوله: ﴿مَا عَمِلُواْ﴾؛ لأنَّ العملَ أعمُّ من الكسب والصُّنع والفعل، فشمل اللَّفظ جميع أعمالِهم المبنيَّة على الكفر[1].

كلُّ عملٍ يُبنى على الكفر سيّئ وقبيح، ويعاقب عليه صاحبه يوم القيامة

فائدةُ حذف العائد في ﴿عَمِلُواْ﴾:

حُذِفَ العائد في قولِه: ﴿عَمِلُواْ﴾؛ لإفادة عموم أعمالِهم، بمعنى: أنَّ كلَّ ما عملوه سيّئ قبيح، وهو المناسب للتَّعبير بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ المفيد معنى العموم.

معنى الواو في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾:

الواو في قولِه: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾؛ للعطف المفيد الاشتراك بين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 112.

المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، بمعنى: أنَّه جمع عليهم بدوِّ سيِّئات أعمالِهم وحوق ما كانوا به يستهزِئون، كما يفيد عطف (حاقَ بِهِم) على ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ التَّرتيب في المعنى، بمعنى أنَّ حلولَ العذاب بهم وإحاطتَه لهم بعد بدوِّ سيِّئات ما عملوا، فيكون من باب تلقِّيهم الأشدَّ فالأشدَّ.

حلولُ العذاب بالمستهزئين وإحاطتُه لهم يوم القيامة بعد بدوِّ سيِّئات ما عملوا

براعةُ التَّعبيرِ بلفظ (حاقَ):

عبَّر بلفظ (حاقَ) دون لفظ (حلَّ)، أو ما يقاربُه في المعنى؛ لأنَّ لفظ (حاقَ) يفيد معنى أنَّه نزل، وحلَّ، وأحاط بهم، ولزمهم على حالِ الغلبة والقهر لهم، فلا ينفلتون منه، كما يفيد اللَّفظ أنَّ العذاب قد وجب عليهم؛ بسبب استهزائهم وتكذيبِهم، فما من لفظ يؤدّي هذه المعاني في بيان عقوبة المستهزئين بآيات الله تعالى مثل هذا اللَّفظ، ولفظ (حاقَ) لا يُستعمل إلّا في الضُّرِّ والأذى والمكروه[1].

لفظ (حاقَ) لا يُستعمل إلّا في الضُّرِّ والأذى والمكروه

بلاغةُ المجاز في إسناد (حاقَ) إلى ﴿مَّا﴾:

إسناد الفعل (حاقَ) إلى الاسم الموصول، في قولِه: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مجاز عقليٌّ، قصد به المبالغة في الجزاء والعقاب، فكأنَّ نفس ما كانوا به يستهزئون هو الَّذي حاق بهم، وأحاط بهم؛ تعبيرًا عن قبح استهزائِهم وهولِه، فيكون من قبيل تَنْزِيلِ العقاب منزلَة المُستهزَأ بِه، وفيه تنديم لهم على ما فعلوه، وقالوه، ويحتمل أن يكون الكلام على طريق المجاز بحذف المضاف، وتقدير الكلام: وحاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزِئون، أي: عقاب ما كانوا به يستهزِئون[2].

المبالغةُ في الجزاء والعقاب يوم القيامة للمستهزئين بآيات الله تعالى

فائدةُ تقديمِ الجار والمجرور على الفاعل:

قدَّم ﴿بِهِم﴾ على الفاعل ﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 234، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 5/ 90، والخطيب الشّربيني، السّراج المنير: 3/ 602.

(2) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 5/ 90.

بِهِۦ﴾؛ للاهتمام بإحاطةِ العذاب بهم، ويُلمح في التَّقديم معنى التَّخصيص، بمعنى: أنَّ إحاطة عذاب ما كانوا به يستهزئون ونزولَه يكون بهم، وليس بغيرِهم.

نوع ﴿مَّا﴾:

﴿مَّا﴾ في قولِه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾ اسم موصول بمعنى الَّذي، وعبَّر بـ﴿مَّا﴾ دون الَّذي؛ لأنَّ ﴿مَّا﴾ أعمُّ من الَّذي وأشدُّ إبهامًا؛ ليعمَّ لفظ ﴿مَّا﴾ كلَّ ما يصدر من أقوالِهم وأعمالِهم الَّتي يقصدون بها الاستهزاء بآياتِ اللّه الظّاهرة البيِّنة.

كـلُّ لـفـظٍ أو فعلٍ يُقصَد به الاستهزاء بآيات الله، وإن كان قليلًا يُعاقب عليه صاحبه

مناسبةُ التَّعبيرِ بالموصول وصلته:

عبَّر بالموصول وصلتِه في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ دون أن يقال: وحاق بهم عملهم؛ لأنَّ في العدول عن الإضمار إلى الموصوليَّة تغليظًا لهم، وتنديمًا على ما فرَّطوا من أخذ العدَّة ليوم الجزاء[1]، كما أنَّ فيه تغليظًا لشأن الاستهزاء بآيات اللّه وبدينِه؛ للإيذان بأنَّ كلَّ من يستهزئ بآيات اللّه يحيق به العذاب يوم القيامة.

كلُّ من يستهزئ بآيات الله يحيق به العذاب يوم القيامة

نوعُ الباء في ﴿بِهِۦ﴾ ودلالتها:

الباء في ﴿بِهِۦ﴾ للسَّببيَّة[2]، والمعنى: حاق بهم ما كانوا بسببه يستهزِئون، ويحتمل أن تكون الباء للإلصاق، بمعنى التصاق استهزائِهم بآيات اللّه وبالبعثِ؛ لتفيد الباء معنى المبالغة في استهزائِهم وتكذيبِهم، حتَّى صار استهزاؤهم ملتصقًا بآيات اللّه وبالبعثِ، أي: كلَّما رأوا آية من آيات اللّه؛ استهزَؤوا بها، وكلَّما ذكر البعث؛ استهزؤوا به، ففيه تقبيح لهم ولعملِهم الشَّنيع.

الـجـزاء من جنس العمل

فائدةُ تقديم الجار والمجرور على الفعل:

قدَّم الجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على الفعل ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ لتعظيم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 374.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 374.

شأن استهزائِهم بآيات الله وبالبعثِ وتكذيبِهم بهما، ويُلمح في التَّقديم معنى التَّخصيص، بمعنى: أنَّهم ما كانوا يستهزِئون بشيءٍ في الدُّنيا سوى بآيات الله وبالبعثِ، كما أفاد تقديم الجار والمجرور رعاية الفاصلة ومناسبة رؤوس الآي في قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

في تقديم ما حقُّه التَّأخير عناية بالمقدَّم، وقد يؤذن غرضه التَّخصيص

دالَّة تركيب ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

يفيد تركيب ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أنَّهم كانوا مستمرّين على استهزائِهم حتّى صار فيهم جبلَّةً وطبعًا ملازمًا لهم، لا ينفكّون عنه، كما أفاد التَّعبير أنَّهم يوجدون الهزء به على غاية الشَّهوة واللَّذَّة إيجاد من هو طالب لذلك راغبٌ فيه[1].

من جهل المستهزئين وقبحِهم أنَّهم يستهزئون بآيات الله على غاية الشَّهوة واللَّذَّة

بلاغةُ حسن الائتلاف:

في الآية حسن الائتلاف، فاقترن الفعل (بَدا) بـ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾، واقترن (حاقَ) بـ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ لأنَّ البدوَّ عبارة عن أوَّل ما يظهر من الشَّيء، و﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ يقتضي مطلقَ الذُّنوب النّاشئة عن مطلق ما اتَّصفوا به من العمل، والاستهزاء عبارة عن شدَّة ما اتَّصفوا به من القبيح، فناسب الاستهزاء لفظ الحوق الَّذي هو بمعنى الإحاطة، ففرَّق الأشدَّ بالأشدِّ، والأحقَّ بالأحقِّ[2].

لكلِّ كلمة في القرآن مع صاحبتِها مقام

بلاغةُ استعمالِ مفردة الاستهزاء دون السُّخرية:

عبَّر بمفردة الاستهزاء في قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ دون أن يقال: يسخرون؛ لأنَّه قصد أنَّهم استهزؤوا بآيات الله وبالبعث، من غير موجبٍ من فعلٍ أو قولٍ يقع الاستهزاء من أجلِه، والتَّعبير بالاستهزاء يدلُّ على استخفافِهم بآيات الله المقتضي تكذيبها، كما أنَّ إسناد الاستهزاء إليهم يدلُّ على ارتيادهم الهُزُؤَ وتعاطيه، ولهذا لم يقل: (ماكانوا به يسخرون)؛ لأنَّ السُّخرية تدلُّ على فعل يسبق من المسخور منهُ[3].

الاستهزاءُ بآيات الله يدلُّ على الاستخفافِ بها وتكذيبِها

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 18/ 112.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 16.
(3) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254، والرّاغب، المفردات: (هزؤ).

بلاغةُ اختلاف التَّعبير عن الفاعل بين ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ و﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

لمّا كان البدوُّ بمعنى الظُّهور؛ ناسب إسناده إلى السَّيّئات؛ لأنَّ الَّذي يظهر هو سوء أعمالِهم، ولمّا كان الحوق بمعنى النُّزول بالشَّيء على معنى الإحاطة به ولزومِه ووجوبِه؛ ناسب إسناده إلى قولِه: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ ليفيد أنَّ الَّذي كانوا به يستهزِئون هو سبب نزول العذاب وإحاطتِه بهم ووجوبِه لهم، كما أنَّه لمّا قصد استمرار حلولِهم في العذاب؛ ناسب أن يعبِّر بتركيب ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الدّالِّ على استمرارهم على الاستهزاء، فناسب العقاب العمل، واقترن كلُّ لفظ بما يناسبه، فلكلِّ كلمة في القرآن مع صاحبتِها مقامها.

براعةُ اقتران لفظ البدوِّ بالسَّيّئات ولفظ الحَوْق بما كانوا به يستهزِئون

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

البُدوّ والظُّهور:

الفرقُ بينهما هو أنَّ البدوَّ يكون بمعنى الظُّهور بعد خفاء، ويكون في طلعة الشَّيء، وفيه معنى المكاشفة والمجاهرة، كما يدلُّ البدوُّ على المفاجأة، ومنه قولهم: بدا له العيب في الحاجة الَّتي اشتراها، أي: تفاجأ بها، ولم يعلمها، فله الرَّدُّ بالعيب، بمعنى: بدا له الأمر بعد أن كان غير متوقَّع، وأمّا الظُّهور؛ فلا يلزم منه الخفاء، ومنه اسم اللّه تعالى الظّاهر، ولا يوصَف بأنَّه البادي، كما أنَّ الظُّهور قد يزداد؛ لأنَّ الشَّيء قد يزداد ظهورًا، بمعنى أنَّه ظاهر ثم يزداد ظهورًا، وليس كذلك البدوُّ، فلا يقال: بدا الشَّيء، ثمَّ ازداد بدوًّا؛ لأنَّ البدوَّ هو الظُّهور التّامُّ بعد خفاءٍ، وقال أبو هلال العسكريُّ في بيان الفرق بينهما: "الظُّهور يكون بِقصد وبغير قصد، تَقول: استتر فلان، ثمَّ ظهر، ويدلُّ هَذا على قصد للظُّهور، ويقال: ظهر أمر فلان؛ إن لم يقْصد لذَلِك... والبدوُّ ما يكون بِغَيْر قصد تَقول: بدا الصُّبْح،

البدوُّ ظهورٌ بعد خفاء، وفيه معنى المفاجأة، والظُّهور لا يلزم منه الخفاء قبله

وبدت الشَّمس وبدا لي في الشَّيء؛ لأنَّك لم تقصد للبدوِّ"[1]، ومنه قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ لأنَّهم لم يقصدوا بدوَّ سيِّئات أعمالِهم، وما كانوا يريدون بدوَّها، فتفاجَؤوا ببدوِّها منكشفةً.

الاستهزاء والسُّخرية:

الاستهزاءُ يكون من غير فعلٍ سابق يُستهزأ به من أجله، والسُّخرية يدلُّ على فعلٍ يُسْبق من المسخور منه

الفرق بينهما هو أنَّ الإنسان يُستهزأ بِهِ من غير أن يسْبق مِنهُ فعل يُستهزأ بِهِ من أجله، والسَّخرُ يدلُّ على فعل يُسْبق من المسخور مِنهُ، وتعدية كلِّ فعلٍ منهما تدلُّ على المذكور، فإنَّ الفعل (استهزأ) يتعدّى بالباء، فيقال: استهزأ به، والباء للإلصاق، كَأنَّك ألصقت بِهِ استهزاء، من غير أن يدلَّ على شَيء وقع الاستِهزاء من أجله، ولهذا لم يأتِ في القرآن ذكر السُّخرية من آيات الله، والفعل سخرَ يتعدّى بـ(مِنْ)، فيقال: سخر منه، فيدلُّ على فعلٍ أو قولٍ وقع السُّخر من أجلِه، كما أنَّ السُّخرية تدلُّ على تعاطي السُّخر فقط دون ارتيادِه، ولذلك عبَّر بالاستهزاء في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّ استهزاءَهم يكون في الذَّوات والأقوال والأفعال بخلاف السُّخرية الَّتي تكون في الذَّوات فقط، فقد كانوا يستهزِئون بالنَّبيِّ ﷺ وبآيات القرآن وبما يدعوه إليه، كما أنَّ الاستهزاء بالشَّيء يقتضي التَّكذيب به، والسُّخرية ليست كذلك، فقد يسخر قوم من المؤمنين من قوم آخرين مثلهم في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: 11]، بينما لم يرد الاستهزاء في القرآن إلّا على سبيل التَّكذيب واستحقاق العذاب عليه، فيكون التَّعبير بالاستهزاء أشدَّ قبحًا ومؤذنًا بالعقاب[2].

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 287.

(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254، والرّاغب، المفردات: (هزؤ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"